كلمة رثاء من عضو مجلس النقابة الاستاذ سمير أبي اللمع الى متري خليل قصعه ١٩٢٤- ١٩٨٦

أربعون عاما في خدمة الحق في خدمة لبنان، القائم على الحق والمؤمن به ابدا، كأن الحق رسالة ينادي بها، وكأن لبنان تجسيد لفكرة الحق عنده.

يمناه على ناحية الزمن، ويسراه الى كتاب، يومىء، فيهرع من عليائه خاشعا امام عليائها... والمحامون في كل مكان وزمان، قادة فكر وسادة كلمة.

لا تنتهي عنده جولة، حتى تبدأ تالية، كذا المناضلون يمضون العمر في الكفاح.

يوم كان له أن يختار، قرر طريقا له... فانتسب للمحاماة وسما بها، وخرق اجوائها، وارتاد القمم.. فاذا به كاهن في محرابها وبلبل صداح في اسراب اطيارها.

سمعته المحاكم يترافع بمثل ما ينير الضوء، وينساب اللحن وتستطيع الاعاصير. وقرأة زملاؤه والقضاء بيانا انيقا، ومنطقا مشبوبا ولغة مدرسة واللغة لسان، واللسان بالانسان كما جاء الذين عرفوه في الاربعينات متدرجا في مكتب المرحوم الشيخ موريس الجميل، رأووا فيه بذور نبات غريب.. وفي اكتماله ونمو قلبه، قد وهب منحة للريح...فتفرق معرفة على جبين المحاماة.

مات وهو يتطلع الى المعرفة.. مات فيها وهو يلقنها الى اولئك الذين ترى عيونهم تفيض من الدمع، مما عرفوا من الحق.

لقد مات وممات هذا الكبير عظيم كحياته، جليل كاعماله. لقد رقدت تلك الفكرة الكبيرة وحول مضجعها تحوم سكينة توحي الهيبة والوقار وترتفع عن الحزن والبكاء. لقد تحرر هذا الوجدان النبيل من الام الحياة ومشاقها، وسار برداء ابيض الى حيث يتسامى العمل عن المشاق والمتاعب.

هذا هو متري قصعة فكرة متحمسة لا ترتاح الا الى العمل وروح ظامئة لا تنام الا على منكبي اليقظة وقلب كبير مفعم بالرقة والغيرة وحب لبنان.

هذه هي حياته ، ينبوع تدفق من صدر المحاماة وصار نهرا صافيا يروي بالمعرفة ويهدر بحب الوطن.

هل تئن الاسود عند ما تتعذب؟

لو تئن يوما، لكان أنينك جرح القلوب وجنن العقول.

لم تئن يوما ولم تسقط على جانب الطريق ولم تيأس ممن قيا انه سقط لانك تعرف ان الطريق طويل وطريق الحق اطول من الحياة.

المحاماة خسرت بوفاتك وجها مشرقا من وجوهها وعلما من اعلامها والمحامون سيذكرونك في القنوط وفي التمني، مقياسا للممكن والمستحيل وعنوان للطموح ومرجعا يتشبه به كل نضال.

باسم نقيب المحامين عصام كرم الذي كلفني ان اقول فيك كلمة المحامين انحني امام نعشك انحناء الاكبار والاجلال ولارملتك وولديك واسرتك العزاء والعمر المديد.

شيئا وحدا يجمع عليه الذين عرفوك ايا كانت الظروف انك واحد من قلة... اذا دخلت الى قلب انسان او نفذت الى عقله اقتطعت في العقل والقلب معا مكانا يظل يتغلب على الفراق كل الفراق ... كما كان يتغلب على الاختلاف كل الاختلاف

كأن القلب والعقل معك يصرخان انهما جزء من الارض التي ترفض الفرقة والفراق.

نم في هذه الارض بالذات وفي هذا التراب الطاهر الذي يستدفئه جسدك اليوم.